العلاقات الروسية – العثمانية
في عهد القيصر بطرس الأكبر (١٦٨٢ – ١٧٢٥)

أ.م.د. نغم طالب عبد الله
كلية التربية – ابن رشد للعلوم الإنسانية – جامعة بغداد
nagham.talib@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

شغلت العلاقات الروسية العثمانية حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين في تاريخ العلاقات الدولية الاوربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بسبب اهميتها السوقية في حلقات الصراع ضمن المسألة الشرقية، التي رافقت تضاؤل قوة الدولة العثمانية، وتكالب القوى الاوربية لاقتسام ممتلكاتها في أوربا واسيا، وادت روسيا في عهد القيصر بطرس الاكبر دوراً محورياً في ذلك الصراع، وذلك استجابة للأهداف العليا التي رسمها قياصرة ال رومانوف، لكسر حالة العزلة التي فرضتها الجغرافية والمناخ على بلادهم، والوصول الى المياه الدافئة الصالحة للملاحة، لمواكبة عجلة التطور والتحديث التي تبناها بطرس خلال حكمه ١٦٨٢– ١٧٢٥.

الكلمات المفتاحية: العلاقات– الروسية – العثمانية – بطرس الاكبر

المقدمة

تعدُّ العلاقات الروسية – العثمانية بين عامي (١٦٨٢– ١٧٢٥)، وهي المدة التي شغلت حكم القيصر بطرس الاكبر، من الموضوعات بالغة الأهمية في تاريخ العلاقات الدولية الأوربية، في القرنين السابع عشر وحتى الربع الأول من القرن الثامن عشر، وقد مهدت من دون شك لمرحلة فاصلة لاحقة، وحلقة من حلقات الصراع الذي عرف بالمسألة الشرقية.

إن واقع الأسباب التي جعلت طبيعة العلاقات الروسية العثمانية تتسم بالعداء المتواصل والمجابهة الحربية في عهده، كان متعلقاً الى حد كبير بجغرافية روسيا المغلقة، التي ما فتأت تحاول منذ قيامها التخلص منها وكسر عزلتها، للوصول الى المياه الدافئة (المياه الصالحة للملاحة). وتميزت ضمن مراحل عدة كان عهد بطرس الكبير احدها، لأنها وضعت حجر الأساس، الذي استكمل خلفاؤه من بعده ترسيخه، ألا وهو الحصول على منفذ الى البحر الأسود، وأيضاً الى بحر البلطيق، بسياسة مقارعة السويد.

كثيراً ما وصف بطرس الكبير بانه كان رجلاً من طراز القيصر ايفان الرابع (الرهيب)، ولكنه مرح تواق الى المدنية والتحديث. كان معروفاً بشغفه الى المعرفة، وقدرته الفريدة على العمل، كان يحسد الغرب على جيوشه واساطيله، وعلى تجارته وفنونه. عمل جاهداً بكل ما اوتي من قوة وقدرة، خلف حلمه القومي والتنويري، وثابر على تحدي العوامل الطبيعية القاسية، التي ورثتها روسيا ليجعل منها انموذجاً مشابها للبلدان الاوربية. يمكن ان نؤشر ان العلاقات بين الدولتين اخذت ابعاداً اكثر حدة مما سبق من فترات، بسبب طموح بطرس الجامح للوصول ببلاده الى مصاف الدول الاوربية المؤثرة في احداث قلب القارة القديمة، ولفت الانظار الى النهضة التي تبنتها بعد حالة من العزلة دامت طويلاً.

إن إحكام العثمانيين السيطرة القسطنطينية، مقر البطريرك الارثدوكسي منذ عهد السلطان محمد الثاني (١٤٥١– ١٤٨١) الملقب بالفاتح عام ١٤٥٣، جعل شكل العداء بين الدولتين يأخذ طابع الجهاد المقدس، ودافعاً ألهب الروح الوطنية الروسية الارثدوكسية ضد العثمانيين.

سلطت الدراسة الضوء على ابرز ملامح العلاقات الروسية العثمانية خلال حكم القيصر بطرس الكبير، مستعرضين نواة الخلاف الذي طبع العلاقات الروسية العثمانية، واسبابه ومراحله، وموقف الدول الاوربية منه، معتمدين على جملة من المصادر والمراجع والدراسات المتخصصة المرتبطة بالموضوع. اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على مقدمة وست محاور، تناول المحور الاول اسباب ومقدمات التوسع الصراع الروسي– العثماني، بشقيه الجغرافي والديني، فضلاً عن بداية العلاقات الرسمية بين الدولتين الروسية والعثمانية، وسلط المحور الثاني الضوء على اوضاع روسيا قبيل اعتلاء بطرس الاكبر العرش، ومدة الوصاية التي شغلتها اخته صوفيا عام ١٦٨٢، وعرض المحور الثالث جهود بطرس الكبير في بناء الدولة الروسية الحديثة، وتتبعنا في المحور الرابع حملتا عامي ١٦٩٥ و ١٦٩٦ ضد العثمانيين، وذلك بغية الحصول على منفذ على بحر ازوف، وكرس المبحث الخامس لمعالجة جبهات وملاحم حرب الشمال الطاحنة ضد السويد واثرها على العلاقات الروسية العثمانية ١٧٠٠– ١٧٢١، واخيراً عالج المحور السادس حملة البروث الفاصلة، وما تلاها من معاهدات بين روسيا والعثمانيين، وفضلاً عن القوى الاوربية الاخرى حتى وفاته عام ١٧٢٥.

أولاً : اسباب ومقدمات الصراع الروسي – العثماني:

١ – العامل الجغرافي والتكويني:

لا تشبه تضاريس روسيا ومناخها سائر تضاريس ومناخ أوربا، إذ إن بناء البلاد الجغرافي اوجد منحدرين للمياه لتجري أكثر أنهارها، إما صوب الشمال نحو المحيط المتجمد الشمالي، وإما صوب الجنوب نحو بحر قزوين والبحر الأسود، وبسبب ذلك عاشت روسيا قروناً طويلة في عزلة فعلية عن أوربا. إن اتسام جغرافيتها بطابع البلاد، الذي اقترن بحياة الانفرادية كان من اهم ما ولد الركود العميق، الذي أصاب بالشلل كل نشاط أو محاولة للسير في ركب الحضارة الغربية. وظل ملايين الروس بمنأى عن نفوذ الدولة الرومانية الغربية، ولم يتأثروا بالنهضة الأوربية، ولم تصل إليهم حركة الإصلاح الديني، وهذه القوى الثلاث كانت ذات اثر بالغ في تطور أوربا الحضاري (محمد فؤاد شكري، الصراع، ١٩٦٠، ص ١٤٦–١٤٧)[١].

ان الوضع الجغرافي لروسيا جعلها في عزلة عن العالم الخارجي، فلم يكن لها منفذ الى البحر، والميناء الوحيد المفتوح على الخارج هو ميناء ارخانجلسك Archangel، الذي يتصل بالبحر الأبيض فالمحيط المتجمد الشمالي، وهذا الميناء لا يعمل طيلة أيام السنة، بل يتجمد لمدة ستة أشهر في السنة (محمد كمال الدسوقي، المسألة، ١٩٦٧، ص ١٠٠) [٢].

عاشت روسيا القديمة منذ القرن التاسع الميلادي تحت حكم أمراء البويار الإقطاعيين، واشتبكت قبائلها مع البدو الرحل ليتوغلوا الى داخل البلاد، لكنها تعرضت لغزوات بعض القبائل الجرمانية، التي أوصلت حدودها إلى نهر الدنيبر واقتربت من المدينة البيزنطية، فاقتبست منها الديانة المسيحية، وتمذهبت بالمذهب الأرثودوكسي تاركة وثنيتها الأولى (الكسيف وكارتسوف، تاريخ الاتحاد، ص١١)[٣].

ورد ذكر موسكو في المدونات التاريخية في أقدم إشارة عام ١١٤٧، إذ كانت حينها عبارة عن قرية، وبعد ذلك بعشر سنوات أي في عام ١١٥٦، بنى فيها فلاديمير يوري دولگوروكي Dolgoruki قلعة، كانت أساساً ونواة لمدينة موسكو. وفي القرن الثالث عشر، وبينما كانت روسيا تحاول هضم المدنية البيزنطية والدين الجديد، جرفتها موجة من القبائل الآسيوية التتارية، فسحقتها وأنزلتها درجة العبودية. وقد غزا المغول التتار روسيا على مرحلتين، كانت الأولى عام ١٢٢٣، أما الثانية والاهم فقد بدأت عام ١٢٣٧. ومع إن التتار اجبروا الروس على دفع الإتاوة، إلا

إنهم تركوا لهم الحرية في إتباع ديانتهم وقوانينهم (هاشم التكريتي، مقدمة في تاريخ روسيا، ٢٠١٥، ص ٣٧) [٤].

تمكن الروس عام ١٤٨٠ في عهد ايفان الثالث Ivan III (١٤٦٢- ١٥٠٥) من رفع راية المقاومة ضد خان الاورطة الذهبية، الذي أرسل رسله الى أمير موسكو يطالبه بالإتاوة، ونجحوا في قطع دابر المغول وطردهم من البلاد (هاشم التكريتي، ص ٢٨- ٢٩) [٥]. وتجدر الإشارة الى ان الروس كانوا قد ثاروا ضد التتار عام ١٣٧٨، بقيادة ديمتري الرابع ابن ايفان الثاني كاليتا (١٣٥٠ - ١٣٨٩) وأحرزوا انتصارات كبيرة قرب نهر فوجا. الا ان التتار بقيادة (ماماي) حشدوا قواتهم، والتحموا مع الروس في معركة (مرج كوليكوفو) في أيلول عام ١٣٨٠، الا ان ديمتري وجيشه استبسلوا بالقتال وصد التتار، ولهذا أطلق على ديمتري لقب (دونسكوي) نسبة الى نهر الدون. لكن موسكو ما لبثت ان تعرضت الى غارة تتارية عنيفة، اجبر حاكمها على دفع الإتاوة مرة أخرى (هاشم التكريتي، ص ٤٦- ٧١) [٦]. ان أهمية عهد ايفان الثالث تكمن في انه أعاد توحيد الدولة الروسية الحديثة، فتزوج من الأميرة صوفيا ابنة أخ قسطنطين باليولوج أخر أباطرة بيزنطة، وقد اتخذ شعار تلك الإمبراطورية النسر ذو الرأسين الى جانب صورة القديس جرجس والتنين (جفري برون، تاريخ أوربا، ٢٠٠٦، ص ٣١٢) [٧].

امتدت أراضي الدولة الروسية حتى القرن السادس عشر الى جبال الاورال المحاذية لأوربا، أما سهول ما وراء الاورال، فتنبسط شماله سيبيريا ذات المساحة الواسعة، وهي لوحدها اكبر من أوربا، إلا إن سكان سيبيريا فكانوا قليلي العدد، وكانت الغابات الكثيفة تغطي هذه المنطقة وتعرف " التايغا " (حسن لبيب، المسألة الشرقية، ١٩٢١، ص ٢١) [٨].

بحلول القرن السابع عشر كانت أراضي خانية سيبيريا، وكانت تشمل القسم الغربي مما نسميه في الوقت الحاضر سيبيريا، قد ضمت تحت سلطة القيصر. وواصل الروس تقدمهم السريع نحو الشرق ووصلوا الى المحيط الهادي، لكن الروس لم يمتلكوا سفناً ولا بحاراً تصلح للملاحة، الأمر الذي حتم على قياصرتها النضال للحصول على منفذ بحري، يربطها بالبلدان الأخرى. لكن الأتراك العثمانيين سيطروا ولمدة طويلة على السواحل الشمالية للبحر الأسود، كما احتلت السويد أجزاء واسعة من سواحل بحر البلطيق، فضلاً عن ليفونيا التي تضم أسقفيات عدة، الأمر الذي جعل المهمة عسيرة جداً (الكسيف وكارتسوف، ص ٥١) [٩].

٢- العامل الديني :

أدى العامل الديني، الى جانب العامل الجغرافي دوراً مهماً بإشعال حدة الخلاف، الذي ميز العلاقات الروسية العثمانية، وكون الصورة الكاملة التي بدأت على أساسها المطامع الروسية في الممتلكات العثمانية، لتأخذ لاحقاً طابع الصدام العسكري المسلح. فإلى جانب اختلاف العقيدة بين الدولتين، لم ينس الروس ان الأتراك العثمانيين استولوا على القسطنطينية عاصمة بيزنطة، ومقر البطريرك الأرثودوكسي، الأمر الذي ظل يوغر صدور الروس باستمرار تجاههم، وبالمقابل كان من المستبعد أن يفسح العثمانيون الطريق للروس للوصول الى البحر المتوسط (عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي، ١٩٧٤، ص ٢٤٨-٢٤٩) [١٠]. ادرك الروس ضرورة التوسع شرقاً باتجاه سيبيريا واواسط اسيا، وجنوباً الى نحو ايران وممتلكات الدولة العثمانية والبحر الاسود. وغرباً نحو البلطيق لاستكمال العلاقات الثقافية والتجارية مع أوربا. وكان دليل القياصرة المرشد لخوض هذه المغامرة هو المصلحة الوطنية الروسية (آلان تايلور، الصراع على السيادة، ص ٤) [١١].

بدأت أولى معالم العلاقات الروسية العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١- ١٥١٢) والقيصر ايفان الثالث، إذ تمكنت إمارة موسكو من استعادة مجدها، ووصل القسطنطينية عام ١٤٩٢، أول سفير روسي حمل معه العديد من الهدايا للسلطان العثماني، كفاتحة للعلاقات الدبلوماسية بين الدولتين. وبعد أربع سنوات وصل القسطنطينية سفير روسي آخر، حصل من العثمانيين على بعض الامتيازات التجارية لتجار بلاده (محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ١٩٧٧، ص ٧٠) [١٢].

ثانياً: أوضاع روسيا قبيل اعتلاء بطرس العرش:

كان القيصر اليكسي ميخائلوفتش (١٦٤٥- ١٦٧٦) قد تزوج مرتين، وكانت له عائلة كبيرة، لم يبق منها أحياء، بعد موت ابنه فيدور الثالث (١٦٧٦- ١٦٨٢) إلا ابنة واحدة هي صوفيا، وولدان هما ايفان وأمه ماريا ميلوسلافسكايا التي توفيت، وبيتر او بطرس وأمه ناتاليا ناريشكينا، وابنتين (تجدر الإشارة الى إن صوفيا هي أخت ايفان الشقيقة أي من أمه وأبيه) (Bernard Pares، A History of Russia، 1949، p.221) [١٣]

ولد بطرس عام ١٦٧٢، ومع وجود أولاد كثر لألكسي، فقد كتب بولوتسكي مؤرخ البلاط عند مولد بطرس هذه الكلمات: " جاء الغازي". ظل بطرس تحت

رعايته والدته ناتاليا، وخصص له اخوه القيصر ثيودور معلماً روسياً ضعيف الشخصية، وقليل الذكاء هو نيكيتا زوتوف، كان موظفاً صغيراً في مديرية العائدات والضرائب، وكان على زوتوف أن يعلم بطرس مبادئ اللغة والتاريخ والجغرافية والانجيل (Frances A. Shaw، A Brief History، 1877، p.17) [١٤].

عقب وفاة القيصر (فيدور) بسبب داء الإسقربوط في السابع والعشرين من نيسان عام ١٦٨٢، عمت الفوضى العارمة البلاط، واشتدت المعارضة بين طرفي المعارضة لوراثة العرش، فعائلة نارشكين دعوا الروس الى موسكو، لدعم مرشحهم بطرس ذا السنوات العشر، بينما أيدت أسرة الميلوسلافيين ايفان الخامس ابن الكسي من زوجته ماريا ميلوسلافسكايا، وكان عمره سبعة عشر عاماً (George Vernadsky، A History of Russia، 1951، p. 89) [١٥].

وبعد أسبوعين نجح الميلوسلافيين في إثارة العصيان، ودخل الحرس الملكي القصر، وقتلوا بعض الأعضاء البارزين من حزب عائلة ناريشكين، وطلبوا أن يسمى ايفان قيصراً لروسيا، وكتسوية للخلاف تقرر أن يشترك في اشغال العرش قيصران، وبالحقيقة ذهبت القوة لحزب الميلوسلافسكي، فقد نجحت أخت ايفان الكبرى صوفيا، وبمساعدة احد الضباط المتنفذين وهو كوفانسكي Kovanski من إثارة الشغب، وإزاحة ناتاليا، التي عينت وصية على ابنها بطرس، بحجة إنها تسيء معاملة أخوه ايفان، وهكذا تقرر أن يحكم الولدان معاً على أن تعطى الوصاية لصوفيا (George Vernadsky، 90 –pp.89) [١٦].

أثبتت صوفيا أنها وصية متسلطة وقوية، استطاعت أن تقضي على حركة الفوضى والتمرد، التي تزعمها حليفها بالأمس هوفانسكي، فقامت باستدراجه الى دير الثالوث الاقدس Trinity ، حيث أمرت بقتله هناك. وعينت الى جانبها عدداً كبيراً من الوزراء المتميزين، أهمهم الأمير فاسيلي غالتسين Galitzin ، والذي يعد من ابرز رجال الثقافة في روسيا، أثار مسالة تحرير العبيد، وكان لتوجهاته دور كبير بإصدار تشريعات وإصلاحات في القوانين القاسية السائدة آنذاك، والمتعلقة بمعاملة النساء والشحاتين(Bernard Pares، p.223) [١٧].

اما في ميدان السياسة الخارجية لروسيا، فقد توصلت صوفيا عام ١٦٨٦ لعقد اتفاقية مع ملك بولونيا جون الثالث سوبيسكي، انضمت روسيا بموجبها الى العصبة المقدسة، لمواجهة العثمانيين، على أن تمنح بولونيا مدينة كييف للروس لمدة سنتين، لكن الروس لم يعيدوها أبداً، وبقيت تحت السيادة الروسية (Bernard Pares، p. 223) [١٨].

كما جهز الأمير غالتسين حملتين ضد خان القرم، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته في تحريك الجيش خلال المنحدرات الوعرة، ألا انه نجح بعبور قناة بيريكوب. وفي سنة ١٦٨٩ توصلت صوفيا الى عقد معاهدة مع الصين هي نيرجنسك، بعد ان التقت الوحدتان الصينية والروسية عند نهر آمور الذي ظل صينياً، ولم يحقق الروس نصراً حاسماً، وعادوا الى شمال وادي نهر آمور(١٩). قامت والدته في العام نفسه بتزويجه من يفدوكيا Evdokhia ، ابنة فيدور لوبوخينا Lapokhina ، وهو بعمر السابعة عشر، وانجبت له ابنه اليكسس، الذي ولد عام ١٦٩٠. ارغم بطرس زوجته عام ١٦٩٨ على الانزواء في سودال Szdal، وبعد اعدامه ابنه الوحيد عام ١٧١٨، قرر ابعاد والدته الى المنفى في دير Novoladozhskii ، حيث بقيت فيه حتى عام ١٧٢٧، عندما أمر حفيدها بطرس الثاني اطلاق سراحها (W. Tooke، F.R.S.، ed، History of Russia، 1800، pp.186-187) (٢٠).

ان الفشل في سياسة روسيا الخارجية، نتج عنه فقدان حكومة صوفيا لشعبيتها، وأدركت انه مع كل سنة من عمر القيصرين الذين تحكم باسميها يقترب بطرس، الذي عُرف في البلاط من كل الحاشية المحيطة بها، انه يمتلك طاقة غير عادية وحكمة وحيوية استثنائية، وكان واضحاً انه حالما يصل الى السن القانونية، فانه سيمسك بالأمور لصالحه (Bernard Pares، 224-225 .pp) (٢١).

أدركت صوفيا أنها اصبحت مهددة، ولاسيما انها تعرف أن أخاها ايفان هو رجل ضعيف، غير قادر على الحكم، وان الأنظار تتجه نحو بطرس، فقامت مع احد مساعديها، وهو شاكلوفيتي، بتدبير متوافرة لقتل بطرس وأمه ناتاليا، وهيأوا خمسة من الحرس لهذا، فأسرع اثنان الى بطرس ليحذروه، فغادر الى دير الثالوث الأقدس، اذ اخذ العديد من القادة والجنود ينضمون اليه الواحد تلو الآخر، الى جانب تأييد العديد من الأجانب في الضاحية الألمانية (Walter k. Kelly، History of Russia، Vol: I، 1854، p. 234) (٢٢).

وكمحاولة لتدارك الموقف، أرسلت صوفيا البطريرك للتفاوض مع بطرس، لكن الأخير تمكن من كسبه الى جانبه، وكشف خطة صوفيا وشاكلوفيتي الذي تم إعدامه، واستدعى بقية الحرس الملكي الذين تركوا قصر صوفيا، التي ذهبت بنفسها الى بطرس في دير الثالوث لمقابلته، ولكنه رفض استقبالها. ولم يعد بإمكانها سوى انتظار قدوم بطرس الى موسكو، وبالفعل وصل اليها في الثاني عشر من أيلول

عام ١٦٨٩، وأول عمل قام به هو نفي صوفيا الى دير للراهبات جنوب موسكو، وهو الامر الذي طالما خشيته (Walter k . Kelly، p. 235)[٢٣].

لم يشغل بطرس العرش مباشرة، بل ترك الوصاية الى أمه، التي كانت اقل قدرة من صوفيا على إدارة البلاد، وكانت توجه من قبل مستشارين غير أكفاء، وفضل هو قضاء وقته بأخذ دروس من القباطنة الانكليز والألمان. كما أبحر عام ١٦٩٣ على ظهر زورق انكليزي، يعود لخاله الأكبر الى ميناء ارخانجلسك، اذ استمتع بهذه الرحلة الى الميناء الوحيد، الذي يمنح طريقاً الى أوربا. وفي السنة التالية أي ١٦٩٤، ماتت أمه التي كان متعلقاً بها بشدة، وأصبح وحيداً، عليه ان يسير ببلاد شبه منعزلة عن العالم، الى حدود المدنية والانفتاح (جلال يحي، معالم التاريخ الحديث، ١٩٧٦، ص ٩١) [٢٤].

ثالثاً: بطرس الكبير وبناء الدولة الروسية الحديثة:

كان اتصال بطرس بالأوربيين من أهم أحداث حياته، فقد تعلم منهم الكثير، اذ ان أخته صوفيا كانت قد أرسلته الى إحدى القرى القريبة من موسكو، التي كانت مخصصة للإقامة الجبرية للأجانب، وكانت تضم العديد من السفراء والتجار والباحثين عن الوظائف في روسيا، من الألمان والهولنديين والانكليز والاسكتلنديين، فتعلم منهم بعض مبادئ العلوم والحساب والهندسة، واكتشف عن طريقهم بعض مظاهر الحضارة الغربية، الأمر الذي حرك فيه الرغبة في فرض هذه الحضارة على إمبراطوريته، التي كان أهلها يعيشون معيشة شبه آسيوية (علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية، ط١، ١٩٩٠، ص ١٣٦- ١٣٧)[٢٥].

كان النشاط أعظم صفاته، كما النبوغ وكان ميالاً نحو المدنية، جاء الى الحكم ووجد روسيا مختلفة عن الغرب أشواطاً بعيدة، وجيوشه بحاجة شديدة الى التدريب والتنظيم والتجهيز، فضلاً عن القيادة الجيدة، فهي لا تستطيع مواجهة جيوش الغرب المتفوقة والمنظمة (جلال يحي، ص ٩٢) [٢٦].

عدّ نفسه خادم روسيا الأول، فقام بالتنازل عن الأملاك التي ورثها للدولة، ولم يتسلم سوى راتبه بصفته نجاراً في الأسطول، كما بقي نقيباً في الجيش، لكنه رفع هذا الراتب، بعد أن رقي وهو قيصر الى رتبة كولونيل، فاخذ راتب عن هذه الرتبة، ولعل هذا يفسر إهماله لهندامه وملابسه، وإقامته حفلات على حساب أصدقائه الأجانب وفي بيوتهم، لكنه انشأ لروسيا جيشاً قوياً وأسطولاً له قيمته، وهما من وسائل الوصول الى القوة والعظمة اللازمتين لروسيا (علي شعيب، بطرس الاكبر، ط١، ١٩٩٢، ص ٩ – ١٠) [٢٧]

وكونه رجلاً عسكرياً، فقد وجه أولى اهتماماته لبناء الجيش، فحل الجيش القديم، المؤلف من رجال الإقطاع الذين لم يخضعوا تماماً للقيصر، وأسس جيشاً جديداً، على الطراز السويدي والألماني، وجعلت الترقية فيه على أساس الكفاءة، كما أوكل قيادته للعديد من الضباط الأجانب، الذين يعتمدون على القيصر في كل شيء (علي شعيب، ص ١١) [٢٨].

كان بطرس طويل القامة، يصل طوله الى ما يزيد عن المترين، ولكنه كان خفيف الحركة، يتميز بقوة غير عادية، فكان بوسعه مع أربع ساعات من النوم، أن يواصل عمله ومجهوده لفترة ثمان واربعين ساعة، وبمنتهى النشاط، وكان لا يطيق البقاء دون عمل، وهو في حركة دائمة، وكان كثير السفر داخل إمبراطوريته (المصدر نفسه، ص ١٢) [٢٩] حدد بطرس أهدافه الكبرى بتحقيق ثلاث غايات هي:

١- تثقيف روسيا ثقافة أوربية وإدخالها دائرة المدنية الغربية.

٢- فتح طريق تنفذ منه روسيا الى البحر من الأسود والبلطيق، أو كما قال هو " نافذة تنظر منها روسيا الى الخارج "

٣- تحطيم كل قوة تعارضه وتقف بوجهه في البلاد، من رجال الدين والأشراف والجيش [٣٠] (جفري برون، ص ٣١٣)، وقد حقق كل ذلك.

لتحقيق هدفه الأول شد الرحال الى أوروبا، في السادس من كانون الثاني عام ١٦٩٧، في رحلة استغرقت سنة كاملة. وقد وضع في ختمه الملكي العبارة التالية شعاراً له " واجبي أن أتعلم "، وصار يتجول بين ألمانيا وهولندا وانكلترا والنمسا، باحثاً عن كل علوم الغرب وفنونه، وطرق صناعته، وقد تنكر في هولندا، وظهر بمظهر نجار بسيط أجير ليتعلم صناعة السفن، واتخذ في هذه البعثة، التي عرفت " بالسفارة العظمى " اسم بيتر ميخائيلوف، وعمل مدة نجاراً، قبل أن تتكشف شخصيته الحقيقية، بسبب المرسوم الذي أصدره حاكم المدينة، ودعا فيه الى عدم إهانة " الوجيه الأجنبي ". وحري بالذكر إن اللغة التي كان يتقنها بطرس، الى جانب لغته الأم هي الهولندية. كما حضر أيضاً محاضرات في الطب، وزار معامل الورق والطواحين والمطابع. وما إن استعد للانطلاق الى جمهورية البندقية، حتى جاءت الأنباء التي تفيد بثورة الجند في القوات الخاصة الستراسي في بلاده، فعاد مسرعاً اليها ليخمد التمرد (نادية جاسم كاظم الشمري، رحلة القيصر الروسي بطرس، بحث منشور، مجلة جامعة بابل، ٢٠١٦، ص ٢٥٤) [٣١].

لاقت رحلته الأولى هذه أصداء كبيرة في أوربا، وكانت حصيلتها بعثة عالمية أوربية، مكونة من خمسمائة عالم، تنوعت بين الأطباء والمهندسين والصناع والحرفيين، توجهت الى روسيا لمساعدة قيصرها على تحديث بلاده (نادية جاسم كاظم الشمري، ص ٢٦٥- ٢٦٦) [٣٢].

وبعد عشرين عاماً قام بطرس الكبير برحلة ثانية الى أوربا عام ١٧١٦، زار خلالها ألمانيا والدنمارك وهولندا وباريس، لكن البعثة كانت دبلوماسية هذه المرة. فحاول أن يعقد معاهدة تحالف مع فرنسا، لكن لم يحصل إلا على معاهدة تجارية بين البلدين، لكنه اظهر أيضاً أثناء هذه المرحلة شغفاً وميلاً للاطلاع على شؤون الإدارة والحكم (بوغانوف، بطرس الاكبر، ١٩٩٠، ص ٣٣٥- ٣٤٠) [٣٣]. سارت عملية تطوير روسيا بدون خطة محددة، الا انها برزت في مجالات ثلاث: الأول ما يخص العادات والتقاليد، إذ أمر بإلغاء الملابس الشرقية، واستبدالها بالملابس الأوربية لجميع ضباط الجيش ورجال الحاشية والموظفين في روسيا، وحلق اللحى، ومنع السيدات من وضع الحجاب على رؤوسهن، وكان الخياطون والحلاقون يقفون بأمره عند أبواب المدن، ويقومون بقص الملابس الطويلة، وحلق اللحى وبالقوة، لكل من يرغب بدخولها، وكان يأمر بجلد كل موظف يتباطأ في تنفيذ أوامره. وكان يقص ملابس البويار، ويحلق لحاهم بنفسه في بعض الأحيان. ولما كانت اللحية أشبه برمز ديني في روسيا، استثني بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية، ورجال الدين من حلقها، وسمح للتجار الأغنياء بإبقائها، مقابل دفع مبلغ مئة روبل سنوياً (سليم قبعين، تاريخ ال رومانوف، ٢٠١٥، ص ٦٢- ٦٥) [٣٤]

اما المجال الثاني فكان الاقتصادي، إذ عمل على تشجيع الزراعة واستغلال المناجم، وإنشاء المصانع والورش، وأمر بشق القنوات والترع، وشجع التجارة، كما شجع التعليم، وانشأ مدرسة بحرية ومدرسة أخرى للجراحين وأخرى للمهندسين، وكان الطلاب يصلون اليها دون أن يكونوا قد تعلموا مبادئ القراءة والكتابة (علي شعيب، ص ٦٩- ٧٣) [٣٥]

اما المجال الثالث، فهو النظام السياسي والديني، وخلاله حاول بطرس الكبير تنظيم الحكومة بطريقة تشبه التنظيم الأوربي، فكانت الحكومة المركزية تضم مجلساً للشيوخ أو مجلس الدولة، يقوم بدراسة الشؤون المهمة، ويقدمها للقيصر يعاونه في ذلك عشر لجان تقوم بعمل الوزارات، كما فرض على النبلاء وأبنائهم ضرورة الخدمة ابتداءً من سن الثالثة عشر، وإلا فإنهم كانوا يعدون خائنين للقيصر، وتتم مصادرة أموالهم (جلال يحي، ص ٩٧- ١٠٠) [٣٦]

اما ما يتعلق بالكنيسة، فقد أخضعها بطرس لسلطة البطريرك، يعاونه مجلس، يشارك فيه القيصر عن طريق نائب له، وهكذا لم يضع نفسه على رأس الكنيسة، بل شارك في إدارة شؤونها مع رجال الدين. لكنه عندما احتاج الى الحديد، ليصنع مدافع لجيشه، أمر بتكسير نواقيس الكنائس، وصبها من جديد (Jacob Abbott، History of Peter، 1895، pp. 181- 182)[٣٧]. ويبدو ان رحلته الى أوربا في السفارة العظمى، ولقائه في لندن بأساقفة الكنيسة الانگليكانية (نغم طالب عبدالله، الانگليكانية، بحث منشور، مجلة الآداب، ٢٠١٤، ص ٤٣١)[*]، وأيضاً بويليام بن Marianne S. Wokeck)، Joy Wiltenburg، The Papers of William Penn،ed. etal، 1986، p. 540- 541) ، William Penn)[**] مؤسس مستعمرة بنسلفانيا في أميركا الشمالية، وهو من معتنقي مذهب الكويكرز، أثرت في نظرته بكيفية تحديد طبيعة العلاقة، التي يجب أن تسود بين مؤسسة الدولة والسلطة الدينية وصلاحياتهما. اذ تؤمن الطائفة برفض القيود الكنسية. وقد صرح بعد مرور ست عشرة سنة على لقاءه بقادة الكويكرز قائلا " من يعش وفقاً لهذه التعاليم يذق طعم السعادة " (مقتبس في نادية جاسم كاظم الشمري، ص ٢٦٢) [٣٨]

---

[*]تعرف كنيسة انكلترا باسم الكنيسة الانگليكانية Anglicanism ، تأسست بعد حركة الاصلاح الديني، وانشقاق انكلترا عن كنيسة روما الكاثوليكية، في عهد الملك هنري الثامن (١٥٠٩- ١٥٤٧)، ولكنها اخذت شكلها النهائي في عهد ابنته اليزابيث الاولى (١٥٥٨- ١٦٠٣)، حيث اصبحت الكنيسة الرسمية للبلاد، بإصدار مرسوم الانسجام الديني ١٥٥٩، وقلصت الفقرات التي صدرت في عهد اخيها إدوارد السادس (١٥٤٧- ١٥٥٣) من اثنتان واربعين مادة الى تسع وثلاثين مادة دينية، لا تزال ليومنا هذا تشكل جوهر الكنيسة الانگليكانية. للمزيد ينظر: نغم طالب عبدالله، الانگليكانية وقراءة في تطور الكنيسة البروتستانتية الاسقفية في الولايات المتحدة الامريكية، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠٩، ٢٠١٤، ص ٤٣١.

[**]ويليام بن: احد أبرز قادة الكويكرز، ومؤسس مستعمرة بنسلفانيا في اميركا الشمالية عام ١٦٨٢، لتكون ملجأ آمناً لاتباع طائفة الجمعية الدينية للأصحاب، التي عانت من الاضطهاد والتنكيل في انكلترا بسبب قناعاتها. خلال زيارته لإنكلترا التقى ويليام بن ببطرس مرتين ١٦٩٨. وقد بعث اليه بن اثنين من اتباعه، وهما جلبرت موليسون Gilbert Mollyson وتوماس ستوري Thomas Story ، لإيضاح تعاليم طائفة الكويكرز، حول مسألة رفضهم نزع قبعاتهم امام أي زائر او رفضهم حمل السلاح او اداء اليمين او اداء الخدمة العسكرية، واتهام البعض لهم بانهم ليسوا مسيحيين، على امل ان يحظى دعاة ومبشري الكويكرز، برعاية وحماية القيصر الروسي، في حال سافروا الى موسكو. وقد وجه اليه ويليام بن الدعوة لحضور اجتماع للطائفة في كنيسة Grace Church ، كما زاره في مقر اقامته في Deptford واهدى له نسخة من تعاليم الطائفة باللغة الهولندية، التي يتقنها بطرس. كما وجه له رسالة تناولت ركائز الايمان، المتعلقة بالنور الاقدس الباطني الذي يؤمن به الكويكرز، والتأكيد على قيم الخير والبر والاحسان، الى جانب الصلاح والتقوى والحكمة، التي عدها اعظم امانة كلف بها الانسان. للمزيد ينظر:

The Papers of William penn, Vol: Three, 1685- 1700, Marianne S. Wokeck, Joy Wiltenburg, Alison Duncan Hirsch (ed), etal, University of Pennsylvania press, Philadelphia, 1986, pp. 540-541.

وليؤكد بطرس ان روسيا أصبحت حديثة، فقد قرر بناء عاصمة جديدة بدلاً من موسكو، فكانت مدينة بطرسبورج (بتروگراد) على نهر نيفا وخليج فيفلاند، المطل على بحر البلطيق، لتكون ناظرة الى الغرب لتقتبس مدنيته، شرع العمل ببنائها عام ١٧٠٣، وما ان تم انجازها، حتى ملئت بأروع النفائس والتماثيل الضخمة (جلال يحي، محمد فريد بك، جفري برون). [٣٩]

رابعاً : الحملة الروسية ضد العثمانيين للاستيلاء على ازوف ١٦٩٥- ١٦٩٦:

رفع بطرس الكبير شعار الوصول الى المياه الدافئة في البحر الأسود وبحر البلطيق. ولتحقيق الأول، شن حملة حربية ضد العثمانيين في صيف عام ١٦٩٥، حاول خلالها الاستيلاء على ميناء آزوف الواقع على مصب نهر الدون، كانت حملة كبيرة ضمت ثلاثمائة الف جندي، إلا انها فشلت، لعدم اكتمال جاهزية الأسطول الروسي، واضطر الى رفع الحصار عنها بعد ثلاثة اشهر (عباس عبد الوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الاول ١٦٨٩- ١٧٢٥، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، ٢٠١٠، ص ٣٩٩ ؛ ميلاد المقرحي، تاريخ أوربا الحديث، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٣٩)[٤٠] عاود بطرس في السنة التالية أي ١٦٩٦ شن حملة حربية بحرية على قلعة آزوف في الثامن والعشرين من تموز، وتمكن بفضل أسطوله الجديد، الذي بناه بمساعدة المهندسين النمساويين، وقيادته الموحدة من قبل الجنرال الاسكتلندي جوردن والفرنسي السويسري ليفورت، من الاستيلاء عليها، بمعية مئة الف جندي، حيث لم يتمكن العثمانيون من تحصين القلعة، وتعزيز قوة الحامية المدافعة عنها، ونجح الروس بمعاونة المهندسين البنادقة والسويديين والدنماركيين والهولنديين والانكليز، بحفر الانفاق المؤدية الى قلعة ازوف، وفشلت القوة المرابطة في صد الهجوم، واستسلمت بعد مقاومة لثلاث وستين يوماً، في السادس من اب من العام نفسه. على الرغم من هذا النصر، بقي مضيق كيرتش الذي يسيطر عليه العثمانيون، هو المفتاح لمدخل البحر الأسود، وكان من الضروري لبطرس أن يؤمنه (Benedict Humphrey Sumner، Peter The Great، 1965، pp. 18- 20)[٤١]

إن مساعي بطرس لتجديد التحالف المقدس مع النمسا ضد العثمانيين، الذي انضمت اليه روسيا عام ١٦٨٧، والمعروف بالعصبة المقدسة، جرى التطرق اليه خلال زيارته السابقة الى فينا عام ١٦٩٨، ولقائه بالإمبراطور ليوبولد الأول، إلا انه فشل، إذ فضلت النمسا بدء مفاوضات مع الدولة العثمانية الى جانب بولونيا

والبندقية، والتي انتهت بتوقيع صلح كارلوفتس Karlowitz في ٢٦ كانون الثاني عام ١٦٩٩ (نغم طالب عبدالله، السياسة العثمانية تجاه النمسا، بحث منشور في مجلة، Route Educational and Social Science Journal، Volume 5 (9)،2018 July ، ص ٩٤٢- ٩٧٣) [٤٢] ، في عهد السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥- ١٧٠٣)، بوساطة انكلترا وهولندا، وبموجبها تنازلت الدولة العثمانية عن المجر بأكملها، وإقليم ترانسلفانيا الى النمسا، كما أقرت الدولة العثمانية استيلاء الروس على مدينة آزوف وتاجانروگ، وأعادت لبولونيا مدن أوكرانيا وكامينك وبودوليا، وتنازلت لجمهورية البندقية عن جزيرة مورا، وإقليم دالماسيا على بحر الادرياتيك، كما اتفقت مع النمسا على مهادنة لمدة خمسة وعشرين عاماً، وان لا تدفع هي أو غيرها أو هدية للدولة العثمانية، وهكذا فقد العثمانيون جزء ليس بقليل من أملاكهم، وزادت أطماع الدول الأوربية فيما تبقى منها (نغم طالب عبدالله، السياسة العثمانية، ص ٩٥٨- ٩٦٠) [٤٣]

حطمت معاهدة كارلوفتس الأمل الروسي بالحصول على مضيق كيرتش، ومدن أسفل نهر الدنيبر، والملاحة الحرة في البحر الأسود، وحق حماية الصقالبة المسيحيين المقيمين في الأراضي العثمانية، فضلاً عن تسليم إدارة العتبات المقدسة في فلسطين، وقررت امبراطورية النمسا الالتزام ببنود هذه المعاهدة وعدم استفزاز العثمانيين، الأمر الذي جعل بطرس يشعر بالغضب على آل هابسبورك. وقد عبر المبعوث الروسي بروكوبي فوزنيتسين عن المباحثات واجواءها قائلاً، بأنه وجد نفسه معزولاً ولا يسانده احد. ولم يستطيع سوى أن يعقد هدنة مع العثمانيين لمدة عامين، من دون مكاسب سياسية كبيرة. وفي حديث لبطرس بعد سنوات عن كارلوفتس وال هابسبورك، ذكر " انهم لم يمنحوني اهتماماً، ولم يهتموا بي ... حالي كحال مجرد كلب، لن أنسى في حياتي ما فعلوه بي، شعرت بذلك وخرجت خالي الوفاض" (Quoted in Benedict Humphrey Sumner،20 .p) [٤٤]

خامساً: حرب الشمال ضد السويد واثرها على العلاقات الروسية العثمانية ١٧٠٠- ١٧٢١:

قرر بطرس الكبير التوجه لفتح منفذ وممر آخر لروسيا على بحر البلطيق (موسوعة تاريخ اوروبا العام، جان بيرنجيه، فيليب كونتامين، ١٩٩٠، ص ٤٢٠؛ اشرف صالح محمد، اصول التاريخ الاوربي الحديث، ٢٠٠٩، ص ١٤٩).[*]

[*]اصبح بحر البلطيق بحيرة سويدية مغلقة بعد حرب الثلاثين عام (١٦١٨- ١٦٤٨) بعد ان ضمت ممتلكات واسعة من جسم الامبراطورية الرومانية المقدسة، اهمها بوميرانا الغربية في شمال المانيا، واسقفيتي بريمن وفيردن، وبذلك سيطرت على مصبات الانهار التي تصب في البلطيق وهي الاودر والب والوزر. ينظر:

فخاض حرباً ضد السويد، عرفت بحرب الشمال. وكان ملكها شارل الثاني عشر (١٦٩٧– ١٧١٨) الذي اعتلى العرش وعمره خمسة عشر عاماً، وكانت السويد آنذاك تمتلك شواطئ فنلندة واستونيا وليفونيا، والجزء الأكبر من بوميرانا. فتحالف مع بطرس كل من فردريك الرابع ملك الدنمارك، وأغسطس الثاني ملك بولونيا وحاكم ساكسوينا في الوقت ذاته. وأعلنت روسيا الحرب على السويد في التاسع من آب عام ١٧٠٠ ، مستغلة انشغال الدول الأوربية بأزمة وراثة العرش الاسباني (١٧٠١ – ١٧١٣). تقدم الجيش الروسي يقوده بطرس، وحاصر مدينة نارفا Narva، أهم المدن السويدية، في الثالث والعشرين من أيلول، بحوالي أربعين ألف مقاتل، الا ان الملك شارل الثاني عشر، تمكن بعد حصاره لمدينة كوبنهاكن، أن يجبر الدنمارك على عقد صلح منفرد، مدعوماً بسفن انكليزية وهولندية، ساعدته على الإنزال قبالة سواحل الدنمارك، التي استسلمت سريعاً، وتم توقيع صلح ترافندال Travendahl في العشرين من آب عام ١٧٠٠، والذي أعيد فيه أيضاً لدوقية هولشتاين استقلالها، ثم استدار ليواجه الجيش الروسي، وتمكن من فك الحصار على نارفا، في التاسع عشر من تشرين الثاني، بينما قرر بطرس العودة الى نوفيجورد، للحصول على المزيد من الإمدادات، والتقى الجيشان في معركة قاسية، انكسر فيها جيش القيصر بطرس، وقتل بحدود ستة آلاف مقاتل، واضطرت الأفواج الناجية الى تسليم كافة المدافع والأسلحة للجيش السويدي (بوغانوف، ص ١٨٦– ١٩٣)[٤٥]

كما تمكن شارل من صد البولنديين، وفك حصار ريغا Riga ، بل وقرر الزحف الى وارشو واحتلالها عام ١٧٠٢، بل احتلت قواته سكسونيا عام ١٧٠٤ ، وقام بعزل أغسطس عن عرش بولندا، وتنصيب ستانسلاو ليشنسكي Leczinsky Stanisław بدلاً عنه، بموجب معاهدة ترانشتات. لم يقدر بطرس قوة السويد وإمكانياتها العسكرية، واندفع بطموح جامح وباستعجال كلفه خسارة فادحة (علي شعيب، ص ٤١) [٤٦] لم تقف هزيمة الجيش الروسي أمام السويد، بوجه طموح بطرس الشديد للحصول على بحر البلطيق، فبعد تسع سنوات قضاها بإعادة تنظيم جيشه وتسليحه وتدريبه، بشكل يؤهله للمواجهة القادمة، استغل انشغال الملك شارل

موسوعة تاريخ اوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، جان بيرنجيه، فيليب كونتامين واخرون، اشراف: رولان موسينييه وجورج ليفه، ترجمة: وجيه البعيني مراجعة: انطوان الهاشم، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، منشورات عويدات ، بيروت - باريس، ص ٤٢٠؛ اشرف صالح محمد، اصول التاريخ الاوربي الحديث، دار ناشري للنشر الالكتروني، الطبعة الالكترونية الاولى، الكويت، ٢٠٠٩، ص ١٤٩.

الثاني عشر بمشكلاته في بولندا وسكسونيا، ليتقدم بجيش تعداده مئة ألف مقاتل في كانون الثاني عام ١٧٠٨ لغزو السويد (عبد الفتاح ابو علية واسماعيل ياغي، تاريخ أوربا، ط ٣، ١٩٩٣، ٢١٣ – ٢١٤) [٤٧]

بعد النصر الساحق الذي حققه شارل الثاني عشر على روسيا وبولندا، وتهديده أراضي ألمانيا، قرر الزحف نحو موسكو عام ١٧٠٨، وقد واجهه الروس بخطة الانسحاب لاستدراجه الى الداخل، وهو ما سبب معاناة شديدة للجيش السويدي، بفعل سوء المناخ وقلة الإمدادات والمؤونة. وفي أيلول من العام نفسه، كان على بعد ثلاثمائة كيلو متر عن موسكو، لكنه قرر الانعطاف جنوباً الى أوكرانيا، منتظراً مساعدات القوزاق له. وفي صيف العام نفسه دخل الى سمولينسك في بيلاروسيا، وبعد معارك ضارية استطاع بطرس الكبير، قرب قرية ليسنايا جنوب غرب سمولينسك، تحطيم قوات الدعم السويدي، التي انطلقت من ريغا لنجدة الملك شارل الثاني عشر. ونتيجة للمقاومة الروسية العنيدة، قرر الجيش السويدي الزحف الى أوكرانيا، وكان يأمل ان تنضم اليه قواتها البالغة أربعين ألف مقاتل، لكنها خذلته، ولم يعد بإمكانه الزحف نحو موسكو، كما قطعت طرق الانسحاب الى بولندا، فقرر محاصرة مدينة بولتافا في عام نيسان ١٧٠٩، وفي السادس والعشرين من حزيران، وبعد حصار استمر شهرين، التقى الطرفان في معركة فاصلة عرفت بواقعة بولتافا Poltava، أصيب شارل الثاني عشر بجروح خطيرة، واضطر للهرب مع ما تبقى من جنوده، وعبور نهر الدنيبر الى الممتلكات العثمانية. خسر السويديين في هذه الواقعة ثمانية آلاف قتيل وستة عشر ألف أسير، مقابل ألف وثلاثمائة قتيل روسي (علي شعيب، ص ٤٢ – ٤٩) [٤٨]

تعد معركة بولتافا من المعارك الفاصلة والمهمة في تاريخ روسيا الحديث، اذ جعلت منها اكبر دولة في شمال أوربا، وأجبرت فيها السويد على التنازل عن ليفونيا Livonia واستونيا Estonia وأراضي سويدية أخرى (عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي، بيروت، ص ٢٥٧) [٤٩]

تحطمت إمبراطورية شارل الثاني عشر، اذ شن بطرس العديد من الحملات العسكرية الناجحة ضد ممتلكات السويد، كما استولى على ليفونيا، وقسم كبير من فنلندا عام ١٧١٣. وتجدد التحالف القديم ضد السويد، فقام أغسطس الثاني أمير ساكسونيا بطرد ملك بولندا، الذي نصبه شارل، بينما قام ملك بروسيا باحتلال بوميرانا الغربية، ولم يلبث شارل الثاني عشر، الذي عاد الى بلاده عام ١٧١٤، بعد تلقيه تهديدات بخلعه عن العرش، أن بدء يعد العدة لمواجهة بطرس، ضمن

المرحلة الثالثة والأخيرة من حرب الشمال، بعد أن بذل جهداً كبيراً لتأليب العثمانيين ضد الخطر الروسي المتنامي. واتفق ملك الدنمارك مع بطرس، على القيام بحملة كبيرة، وإنزال مشترك لقواته في جزيرة سكونا Skane جنوب السويد، بالتعاون مع الأسطول الروسي (بوغانوف، ص ٣٠٧- ٣١١). (٥٠)

وفي هذه الأثناء سعى بطرس للحصول على تأييد دولي، فقام برحلة الى الدنمارك، ثم الى هولندة ومنها الى باريس، لإبرام تحالف عسكري وللحصول على اعتراف بما تحقق في جبهة البلطيق، لكنه فشل. أبدت هانوفر وبريطانيا وفرنسا والنمسا وساكسونيا تأييداً لأهداف بطرس، إلا إن الواقع اثبت أنهم لم يكونوا مسرورين بالانتصارات المتلاحقة، التي حققها الجيش والأسطول الروسي في بحر البلطيق وشرق أوربا. ومع تعثر مساعي الصلح بين الروس وملك السويد، التي توسطت فيها بريطانيا، أقدم شارل الثاني عشر شن حملة عسكرية كبيرة، لانتزاع النرويج من الدنمارك، لكنه قتل في إحدى المعارك بطلق ناري بالقرب من هالدن، في الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٧١٨، وكان حينها في السادسة والثلاثين من عمره. (عبد الفتاح ابو علية، علي حيدر سليمان، جلال يحي) (٥١)

بعد مقتله، تولت أخته اولريكا ايلينورا العرش، وواصلت مساعيها لاستعادة الممتلكات السويدية. واستمرت عمليات استعراض القوى في سواحل البحر، بعد أن أعلن عن تشكيل تحالف بريطاني مع السويد بين عامي ١٧١٩- ١٧٢٠، فيما قام بطرس بإنزال قواته لمرات عدة قرب ستوكهولم. إن اعتراف الجميع بمدى قوة الأسطول الروسي، ونجاحاته في حرب الشمال، الى جانب تأليب بريطانيا للعثمانيين ضد الروس، وعدم توصل الأطراف المتنازعة لنتيجة حاسمة، حيال المكتسبات التي تحققت، دفعتهم الى عقد صلح نيستاد Nystad وهي مدينة فنلندية، في ٣٠ آب عام ١٧٢١، وبموجبه حصلت روسيا على اعتراف دولي، بملكيتها على ليفونيا واستونيا، وأجزاء من فنلندا (موسوعة مشاهير العالم، اعداد مجموعة من المؤلفين، ج٣، ط١، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٧٤ – ٥٧٥.) (٥٢)

سادساً : حملة البروث Pruth الشهيرة ومعاهدات الصلح اللاحقة:

اضطر بطرس الكبير أواخر عام ١٧١٠ الى ترك عملياته الحربية في مقاطعات بحر البلطيق مؤقتاً، ليتوجه نحو الجنوب لمواجهة العثمانيين، ولعدم رغبته في فتح جبهتين للمواجهة في الشمال والجنوب، فقد سعى للتفاوض مع العثمانيين، الا ان السلطان العثماني احمد الثالث (١٧٠٣- ١٧٣٠) وبتحريض

من ملك السويد المهزوم شارل الثاني عشر، ومن خان شبه جزيرة القرم كان مصمماً على مواجهة الروس (محمد كمال الدسوقي، ٩٨ – ٩٩) [٥٣]

تقدم الجيش الروسي بقيادة بطرس الكبير بنحو ثلاثين الف مقاتل، فقطع نهر الدنيبر ووصل الى مولدافيا على نهر الدانوب، ليجد ان حاكمها اعلن انحيازه للعثمانيين، فاستولى على عاصمتها جازي Jassy، وكان يعول كثيراً على مساعدة مسيحيي البلقان لمواجهة العثمانيين. إلا ان آماله تلاشت سريعاً، اذ عبر العثمانيون نهر الدانوب، ومعهم جموع التتار من شبه جزيرة القرم، الذين بلغ عديد قواتهم نحو اربعين الف مقاتل، وحدثت بين الطرفين معركة قاسية على نهر البروث Pruth، انكسر فيها الجيش الروسي، وكاد بطرس الكبير نفسه يقع في الأسر (محمد فريد بك، ص ١٤٤) [٥٤]. كان للحصار المحكم الذي فرضه الصدر الأعظم بلطه جي محمد باشا، مع ما يقارب مائتي ألف مقاتل على القوات الروسية، اثر كبير بإضعاف قوة الروس، فضلاً عما عانوه من الجوع والمرض والانهاك، وتذكر المصادر إن الحصار لو كان قد استمر طويلاً، لأخذ قيصر روسيا وزوجته أسيرين لدى الباب العالي (محمد فريد بك، محمد كال الدسوقي، علي شعيب) [٥٥]

نجحت كاترين الأولى (يكاترينا فاسيليفسكايا) (مشعل مفرح ظاهر، الاوضاع الداخلية في روسيا، بحث منشور في مجلة آداب – البصرة، العدد ٥٦، السنة ٢٠١١، ص ١٨٣– ١٨٤)[*] زوجة بطرس بإقناع الصدر الأعظم برفع الحصار عن الجيش الروسي، وقدمت له لكل ما بحوزتها من المصوغات الثمينة والأحجار الكريمة عن طريق وسيط، الأمر الذي جعل بلطجي باشا، يكتفي بإجبار القيصر على توقيع معاهدة فلكزن، في الحادي والعشرين من تموز عام ١٧١١، والتي تنازل بموجبها عن مدينة آزوف، وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوقاز مطلقاً، كما تعهد بطرس بتدمير حصون وقلاع تاگانروك Rog Tagan وحصون الدنيبر، فضلاً عن تدمير الاسطول الروسي في البحر الاسود، والذي كلفه جهوداً جبارة واموالاً طائلة، واعادة جميع الممتلكات التي حصل عليها من السويد والسماح لملكه بالعودة الى مملكته، وايضاً عن عدم تدخله في شؤون بولندا (يلماز اوزتونا، تاريخ

[*]يكاترينا الاولى (١٦٨٤- ١٧٢٧): اصلها من عائلة فقيرة هي سكافرونسكي، تزوجت بعسكري سويدي، ثم اخذت اسيرة عام ١٧٠٢، عند دخول الروس مدينة فريبورج قرب حدود ليفونيا، ولشدة جمالها اتخذها الامير فتشكوف عشيقة له. وفي سنة ١٧١١ اعجب بها بطرس الكبير وقربها اليه، رافقته في اغلب حروبه بعدها، وعندما انجبت له اولاداً عدة، تزوجها رسمياً عام ١٧١٢، وتوجها امبراطورة عام ١٧٢٤، وخلفته عام ١٧٢٥ في حكم روسيا، وسارت على خطته الاصلاحية حتى وفاتها، افتتحت مجلس المعارف عام ١٧٢٦، والذي ضم كبار العلماء والادباء في روسيا. للمزيد ينظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٤٤؛ مشعل مفرح ظاهر، الاوضاع الداخلية في روسيا ١٧٢٥- ١٧٦٢، بحث منشور في مجلة آداب – البصرة، العدد ٥٦، السنة ٢٠١١، ص ١٨٣- ١٨٤.

الدولة العثمانية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٩٥- ٥٩٦ ؛ بسام العسلي، طرس الاكبر، ١٩٨٠، ص ٧٧) [٥٦]. وصف بطرس هذه الهزيمة الفادحة لاحقاً بقوله "لقد أخرجني الرب خارج هذا المكان، مثل آدم عندما طرده من الجنة" (Quoted in: Benedict Humphrey Sumner، p.40) [٥٧].

صادقت الدولة العثمانية على هذه المعاهدة، على الرغم من شعورها انها لم تحقق القدر الكافي من النصر، اذ أراد السلطان إنهاء الحرب تماماً مع الروس، ليستعيد الأجزاء والمقاطعات المهمة، التي سلبتها اياه معاهدة كارلوفتس في منطقة البلقان (محمد كمال الدسوقي، يلماز اوزتونا) [٥٨]

وعلى الرغم من ذلك، جدد الطرفان عقد معاهدة أخرى، تقضي إعلان هدنة أمدها خمسة وعشرون عاماً، صاغ بنودها الصدر الأعظم يوسف باشا، لكن بطرس الكبير نقضها بعد شهور عدة فقط، اذ رفض الاعتراف بمعاهدة فلكزن السابقة، بما فيها تدمير حصون تاگانروك العسكرية على بحر آزوف، وتجددت الحرب بينهما، فسارعت كل من انكلترا وهولندا للتوسط، وإنهاء الحرب؛ حفاظاً على مصالحها التجارية عبر أراضي البلدين. وبعد مباحثات طويلة، تم الاتفاق على عقد معاهدة جديدة هي أدرنه عام ١٧١٣، التي خسرت فيها روسيا كل ما حققته من مكتسبات بالوصول الى البحر الأسود، اذ تنازلت عن ممتلكاتها المطلة عليه كافة، مقابل إعفائها من دفع الجزية السنوية لأمراء القرم، لقاء عدم تعرضهم لقوافلها التجارية (محمد فريد بك، ص ١٤٥).[٥٩]

في هذه الأثناء بدا بطرس يسعى لتعزيز موقفه السياسي والعسكري في أوربا، فحاول إيجاد تحالف قوي مع فرنسا، التي زارها عام ١٧١٧، والتقى خلالها الملك لويس الخامس عشر (١٧١٥- ١٧٧٤) ووصيه الكاردينال دي فاليري، الا انه اخفق في مسعاه، ولم يبق أمامه سوى التحالف مع عدو الأمس، للحصول على أراضي جديدة تعوض ما خسره سابقاً، فكان اتفاقه على الدولة العثمانية لتقسيم بلاد فارس، التي أتاح وضعها السياسي المضطرب، بعد غزو محمود خان الأفغاني لها عام ١٧٢٢، وإسقاطه الأسرة الصفوية الحاكمة منذ عام ١٥٠٢، التدخل الخارجي في شؤونها وسلب مقاطعات مهمة منها (محمد فريد بك، ص ١٤٦)[٦٠]

وتجدر الإشارة إلى ان العثمانيين واجهوا ايضاً وضعاً مربكاً فيما يتعلق بممتلكاتهم في أوربا، الأمر الذي جعلهم يتوجهون للتحالف مع الروس، فقد تجددت الحرب بين العثمانيين من جهة وبين البنادقة والنمساويين، الذين دخلوا مدينة بلغراد عام ١٧١٧، موقعين خسائر كبيرة بجيش الصدر الأعظم خليل باشا. وبدأت بعدها

مفاوضات عسيرة، قادت الى ابرام معاهدة بساروفتس Pssarowitz، في الحادي والعشرين من تموز عام ١٧١٨، حصلت النمسا بموجبها على بلغراد وأجزاء واسعة من صربيا، وان تحتفظ البندقية بدالماشيا في شرق الادرياتيك، على ان تعود سيادة العثمانيين الى بلاد المورة (ساحل اليونان) (يلماز اوزتونا، ص ٦٠١) [٦١]

ولما رأى الروس ان دول أوربا ضيقت الخناق على العثمانيين، طلبوا تحرير المعاهدة السابقة، بالكيفية التي تتيح لتجارهم المرور عبر أراضي الدولة وبيع سلعهم فيها، وتسهيل مرور حجاجهم الى بيت المقدس، وغيره من الأماكن والأديرة المقدسة، بدون دفع خراج، أو مطالبتهم بجوازات مرور طيلة مدة إقامتهم، فواقف العثمانيون على هذه البنود ٩ تشرين الثاني ١٧٢٠، وأضيف اليها شرط بغاية الأهمية، وهو تعهد روسيا والباب العالي، بمنع نفوذ ملك بولونيا على نفوذ الأشراف، وعدم تمكينه من جعل منصبه وراثياً في عائلته، بكل الوسائل الممكنة بما فيها اعلان الحرب عليه. وكان بطرس يأمل من هذا الاجراء، شق صف التحالف بين العثمانيين وملوك بولونيا والسويد، واضعافهم (محمد فريد بك، ١٤٦) [٦٢]

تمكن العثمانيون بجيش تعداده اثنان وعشرون الف مقاتل بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، من احتلال أرمينيا وجورجيا، كما تمكن بطرس الكبير من اجتياز جبال القوقاز جنوباً ليحتل إقليم داغستان وباكو، مع كافة سواحل بحر قزوين الغربية، وبسبب رغبة كل منهما بتوسيع سيطرته على الاخر، كاد الاحتكاك بينهما ان يؤدي لنشوب حرب اخرى، وبوساطة السفير الفرنسي في اسطنبول المسيو دوبو، تم الاتفاق، على ان يحتفظ كل مهما بما احتله من مقاطعات، بتاريخ ٢٤ حزيران عام ١٧٢٤، وهي كالتالي تحتفظ روسيا بالأقاليم الشمالية من بلاد فارس شيروان وداغستان وجيلان ومازندران واستراباد، مقابل حصول العثمانيين على الاقاليم الشمالية الغربية من فارس وهي كراباغ واريفان وتبريز وهمدان وكرمنشاه، على ان يعترفا بطهماسب ابن الشاه حسين الصفوي شاهاً على بلاد فارس، حال قبوله ببنود هذه المعاهدة، وفي حال رفضه اياها، ومحاولة استرداد ما استولى عليه الروس والعثمانيين من اقاليم بموجب تلك المعاهدة، فان روسيا والدولة العثمانية تتحالفان ضد الشاه طهماسب (عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، ص ٢٥٨؛ عباس عبد الوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية، ص ٤٠٩)[٦٣] .

كانت هذه آخر معاهدة يوقعها بطرس الكبير في حياته، التي شغل سنواتها بخوض سلسلة حروب ناجحة تارة وفاشلة تارة أخرى، ليصل بروسيا الى المياه

الصالحة للملاحة، شمالاً عبر بحر البلطيق، وجنوباً عبر البحر الأسود. وتوفي عام ١٧٢٥، لتخلفه زوجته كاثرين الأولى على عرش روسيا حتى عام ١٧٢٧ (عبد الفتاح ابو علية واسماعيل احمد ياغي، ص ٢١٦) [٦٤]

الخلاصة والاستنتاجات

١- أدى الموقع الجغرافي لروسيا دوراً كبيراً في عزلتها، فضلاً عن تحديد طبيعة العلاقات التي ربطتها بالدولة العثمانية، فضلاً عن العديد من جيرانها كالسويد وبولندا.

٢- ونتيجة لافتقار البلاد لمنفذ بحري يربطها بالعالم الخارجي، والذي طالما تحكم به العثمانيون جنوباً، فقد تميزت العلاقات الروسية العثمانية بالعداء المتواصل، الذي بررره الأباطرة الروس على الدوام، إذ رأوا فيه الوسيلة الوحيدة لجعل بلادهم تلعب دوراً في الأحداث السياسية الأوربية، ويصبح لها حينذاك وزن سياسي رفيع.

٣- خاض بطرس الكبير سلسلة حروب طويلة وقاسية ضد العثمانيين طوال حكمه، باستثناء فترات لجا فيها الطرفان الى عقد معاهدات واتفاقيات تهدئة، لم تخفف من حدة الصراع بين الطرفين، وفي الأغلب كانت تنقض من قبل الطرف الروسي.

٤- حققت جهود بطرس الكبير خلال عقود ماكان يصبو اليه، من جعل روسيا ترتقي لمصاف الدول الكبرى. لكن الحروب القاسية التي خاضها ضد العثمانيين، ليصل الى منفذ مفتوح الى أوربا لم تكتمل في عهده، وبقي الشعار الذي رفعه للوصول الى المياه الدافئة، المحرك الأول لقياصرة روسيا اللاحقين. والذين سيخوضون حروباً ومعارك لا تقل أهمية كما خاض أسلافهم لتحقق هذه الغاية.

٥- يبقى بطرس الكبير بكل تأكيد ممدن روسيا ومحدّثها، الذي نجح بجعلها دولة حديثة، تتصور بمظاهر المدنية الغربية، وتنفض عن كاهلها غبار أيام المغول والتتار وتقاليدهم الآسيوية البدائية، التي كافح بشراسة ليخلص شعبه منها.

هوامش البحث:

(١) محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩- ١٨٤٨، المجلد الثالث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٤٦- ١٤٧.

(٢) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٦٧، ص ١٠٠.

(٣) الكسيف وكارتسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، موسكو، دار التقدم، بلا تاريخ، ص ١١.

(٤) هاشم التكريتي، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث (قيام الدولة الروسية الحديثة وبداية توسعها)، الطبعة الاولى، دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٥. ص ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٦، ٧١.

(٧) الكسيف وكارتسوف، المصدر السابق، ص ٢٧- ٣٢؛ جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، الاهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، عمان، ٢٠٠٦، ص ٣١٢.

(٨) حسن لبيب، المسألة الشرقية، مصر ، مطبعة الهلال، ١٩٢١، ص ٢١.

(٩) الكسيف وكارتسوف، المصدر السابق، ص ٥١.

(١٠) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٤، ص ٢٤٨- ٢٤٩.
(١١) آلان تايلور، الصراع على السيادة في أوربا، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، بلا سنة، ص ٤.
(١٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧، ص ٧٠؛ حسين لبيب، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.
(13) Bernard Pares, A History of Russia, London, 1949,p. 221.
(١٤) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٧٠؛ Frances A. Shaw, A Brief History of Russia, Boston, 1877, p. 17.
(15) George Vernadsky , A History of Russia, Oxford, 1951, p.89.
(16) Ibid, pp.89-90.
(17) Bernard Pares, Op.Cit, p.223 .
(18) Ibid, p. 223.
(19) George Verna Dsky, Op.Cit, p. 91.
(20) W. Tooke, F.R.S., History of Russia from the Foundation of the Monarchy By Rurik to the Accession of Catharine The Second, in Two Volumes, Vol: II, London, 1800, pp. 186- 187 .
(21) Bernard Pares, Op.Cit, p.224-225.
(22) Walter k. Kelly, History of Russia From the Earliest period to the Present Time, in Two Volumes, Vol: I, London, 1854, p. 234.
(23) Ibid, p. 235.
(٢٤) جلال يحي، معالم التاريخ الحديث، الاسكندرية ، منشأة المعارف، ١٩٧٦، ص ٩١.
(٢٥) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، بغداد، دار الواسط، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، ص ١٣٦- ١٣٧.
(٢٦) جلال يحي، المصدر السابق، ص ٩٢.
(٢٧) علي شعيب، بطرس الاكبر قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢، ص ٩-١٠
(٢٨) المصدر نفسه، ص ١١.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٢.
(٣٠) جفري برون، المصدر السابق، ص ٣١٣.
(٣١) نادية جاسم كاظم الشمري، رحلة القيصر الروسي بطرس الكبير الى أوربا ١٦٧٩- ١٦٩٨، بحث منشور في مجلة جامعة بابل/ العلوم الانسانية، المجلد ٢٤، العدد١. السنة ٢٠١٦، ص ٢٥٤.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٥- ٢٦٦.
(٣٣) بوغانوف، بطرس الاكبر، ترجمة: خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٩٠، ص ٣٣٥- ٣٤٠ .
(٣٤) سليم قبعين، تاريخ ال رومانوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٦٢- ٦٥.
(٣٥) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٦٩- ٧٣.
(٣٦) جلال يحي، المصدر السابق، ص ٩٧ - ١٠٠.
(37) Jacob Abbott, History of Peter the Great Emperor of Russia, New York, 1895, pp.181-182.
(٣٨) مقتبس في : نادية جاسم كاظم الشمري، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
(٣٩) جلال يحي، المصدر السابق، ص ٧٠؛ محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٨؛ جفري برون، المصدر السابق، ص ٣١٤- ٣١٥.
(٤٠) ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، الطبعة الاولى، ١٩٩٦، ص ٢٣٩؛ جلال يحي، المصدر السابق، ص ٩٤؛ محمد فريد بك ، المصدر السابق، ص ١٤٠؛ عباس عبد الوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الاول ١٦٨٩- ١٧٢٥، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد ١٧، العدد ٦، حزيران ٢٠١٠، ص ٣٩٩.
(43) Benedict Humphrey Sumner, Peter The Great and Ottoman Empire, U.S, 1965, pp.18-20

(٤٢) نغم طالب عبدالله، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس المعطيات التاريخية وتحليل النتائج، بحث منشور في مجلة Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518 Volume 5 (9), July 2018، ص ٩٤٢- ٩٧٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٩٥٨- ٩٦٠ ؛ محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(46) Quoted in: Benedict Humphrey Sumner, p. 20.

(٤٥) بوغانوف، المصدر السابق، ص ١٨٦- ١٩٣.

(٤٩) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٤١.

(٤٧) عبد الفتاح ابو علية واسماعيل احمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الثالثة، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٣، ص ٢١٣- ٢١٤.

(٥١) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٤٢- ٤٩.

(٤٩) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ، ص ٢٥٧.

(٥٠) بوغانوف، المصدر السابق، ص ٣٠٧- ٣١١.

(٥١) عبد الفتاح ابو علية واسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ص ٢١٥؛ علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص ١٣٨؛ جلال يحي، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٩٦؛ موسوعة مشاهير العالم، اعداد مجموعة من المؤلفين، الجزء الثالث، دار الصداقة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٧٤ – ٥٧٥.

(٥٣) محمد كمال الدسوقي، المصدر السابق، ص ٩٨- ٩٩.

(٥٤) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥؛ محمد كمال الدسوقي، المصدر السابق، ص ٩٩؛ علي شعيب، المصدر السابق، ص ٥٠- ٥١.

(٥٦) يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الانصاري، المجلد الاول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول- تركيا، الطبعة الاولى، ١٩٨٨، ص ٥٩٥- ٥٩٦؛ بوغانوف، المصدر السابق، ص ٢٩٥- ٢٩٧؛ بسام العسلي، بسام العسلي، بطرس الاكبر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، ١٩٨٠.

(57) Quoted in: Benedict Humphrey Sumner, Op.Cit, p.40.

(٥٨) محمد كمال الدسوقي، المصدر السابق، ص ٩٩؛ يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ٥٩٧.

(٥٩) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٦١) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ٦٠١.

(٦٢) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٦٣) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص ٢٥٨؛ عباس عبد الوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الاول، المصدر السابق، ص ٤٠٩.

(٦٤) عبد الفتاح ابو علية واسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ص ٢١٦.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

List of Approved Sources and References

First, Arabic books:

- Mohamed Fouad Shoukry, (1960) The Struggle between the Bourgeoisie and feudalism 1789-1848, Volume 3, Arab Thought House, Cairo.
- Mohammed Kamal Al-Desouki, (1967) Ottoman Empire and the Eastern Question, Cairo, Dar al-D'Culture.
- Hashim Al-Tikriti, (2015) Introduction to the modern history of Russia (The establishment of the modern Russian state and the beginning of its expansion), first edition, Adnan House and Library.
- Hassan Labib, (1921) Eastern Matter, Egypt, Crescent Press.
- Abdelhamid *Al-* Patreeq and Abdelaziz Nowar, (1974) Modern European History, Beirut, Dar Ennahda.
- Mohammed Farid Bek, (1977) History of the Ottoman-Alawyah State, Beirut, Dar Al-Jil.
- Jalal Yahya, (1976) Landmarks of Modern History, Alexandria, Knowledge Facility.
- Ali Haidar Suleiman, (1990) History of Modern European Civilization, Baghdad, Dar Al Wasit, First Edition.
- Ali Shoaib, (1992) Peter the Great Caesar of Russia, Lebanese Thought House, Beirut, First Edition.
- Salim Kab'en, (2015) History of the Romanof, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo.
- Milad A. Al-Megrahi, (1996) Modern History of Europe 1453-1848, Publications of the University of Qaryons - Benghazi, First Edition.
- Ashraf Saleh Mohammed, (2009) Origins of Modern European History, Nashiri Electronic Publishing House, First Electronic Edition, Kuwait.
- Abdel Fattah Abu Alia and Ismail Ahmed Yaghi, (1993) Modern and Contemporary History of Europe, 3rd Edition, Riyadh, Mars Publishing House.
- Abdelhamid Al-Penguin and Abdelaziz Nowar, Modern European History from the Renaissance to The Fina Conference, Arab Renaissance House for Printing and Publishing, Beirut, Without History.
- Encyclopedia of World Celebrities, (2002) Preparation of a Group of Authors, Part III, Arab Friendship House, First Edition, Beirut.

Secondly, the Arabized Books are:

- Yilmaz Oztona, History of the Ottoman Empire, Translation: Adnan Mahmoud Salman, (1988) Review and Revision: Mahmoud Ansari, Volume 1, Faisal Finance Foundation Publications, Istanbul- Turkey, First Edition.
- Encyclopedia of the general history of Europe from the beginning of the 14th century until the end of the 18th century, Jean Bernier, Philippe Kontamen and others, supervised by: Roland Moussinier and Georges Levé, translation: Wajih Al-Baini review: Antoine Al-Hashim, first edition, 1990, Aweidat Publications, Beirut - Paris.
- Viktor Boganov, (1990) The Life of Peter the Great, Translation: Khairi Al-Daman, House of Progress, Moscow.
- Jeffrey Brun, (2006) Modern History of Europe, Translation: Ali Marzouki, Eligibility for Publishing and Distribution, First Edition, Amman.

- Alan Taylor, The Struggle for Sovereignty in Europe, Translated by Kazem Hashem Nehme and Yoel Youssef Aziz, (No Year) .
- Alexiev and Kartsov, (1967) History of the Soviet Union, Translation: Muhammad al-Jundi, Moscow, House of Progress.
- Bassam Al-Asali, Boutros Al-Akbar, The Arab Institute for Studies and Publishing, First Edition, 1980.

Third: Research and Studies:

- Mash'al Mifarah Zahir, (2011) Internal Situations in Russia 1725-1762, Research published in the Journal of Literature - Basra, Issue 56, Year.
- Nagham Talib Abdullah, Ottoman policy towards Austria from the opening of Belgrade to the Treaty of Karlowitz historical data and analysis of results, research published in the journal Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518 Volume 5 (9), July 2018.
- Nagham Talib Abdullah, Anglican and reading on the evolution of the Episcopal Protestant Church in the United States of America, research published in the Journal of the Faculty of Arts, University of Baghdad, Issue 109, 2014.
- Nadia Jassim Kazem Al-Shammari, Russian Tsar Peter the Great's Journey to Europe 1679-1698, Research published in the Journal of Babylon University / Humanities, Volume 24, Issue 1. Year 2016.
- Abbas Abdul-Wahab Ali Al-Saleh, Trends of Russian Policy Toward the Ottoman Empire during the Reign of Tsar Peter I 1689-1725, Research published in the Journal of Tikrit University for Humanities Science, Volume 17, Issue 6, June 2010.

Second: English Books:

-Jacob Abbott, (1985) History of Peter the Great Emperor of Russia, New York.
-Walter k. Kelly, History of Russia From the Earliest period to the Present Time, in Two Volumes, Vol: I, London, 1854.
- Bernard Pares, (1949) A History of Russia, London.
- Benedict Humphrey Sumner, (1965) Peter The Great and Ottoman Empire, U.S.
- Frances A. Shaw,) (1877) A Brief History of Russia, Boston.
- W. Tooke, F.R.S., History of Russia from the Foundation of the Monarchy By Rurik to the Accession of Catharine The Second, in Two Volumes, Vol: II, London, 1800.
- George Vernadsky , A History of Russia, Oxford, 1951.
- Marianne S. Wokeck, Joy Wiltenburg, Alison Duncan Hirsch (ed), et al. , (1986) The Papers of William penn, Vol: Three, 1685- 1700, University of Pennsylvania press, Philadelphia.

ثالثاً: الكتب العربية:

١- محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩- ١٨٤٨، المجلد الثالث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠.

٢- محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة،١٩٦٧.

٣- هاشم التكريتي، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث (قيام الدولة الروسية الحديثة وبداية توسعها)، الطبعة الاولى، دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٥.

٤- حسن لبيب، المسألة الشرقية، مصر ، مطبعة الهلال، ١٩٢١.

٥- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٤ .

٦- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧.
٧- جلال يحي، معالم التاريخ الحديث، الاسكندرية ، منشأة المعارف، ١٩٧٦.
٨- علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، بغداد، دار الواسط، الطبعة الاولى، ١٩٩٠.
٩- علي شعيب، بطرس الاكبر قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢
١٠- سليم قبعين، تاريخ ال رومانوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥.
١١- ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، الطبعة الاولى، ١٩٩٦.
١٢- اشرف صالح محمد، اصول التاريخ الاوربي الحديث، دار ناشري للنشر الالكتروني، الطبعة الالكترونية الاولى، الكويت، ٢٠٠٩.
١٣- عبد الفتاح ابو علية واسماعيل احمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الثالثة، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٣.
١٤- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ.
١٥- موسوعة مشاهير العالم، اعداد مجموعة من المؤلفين، الجزء الثالث، دار الصداقة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٢.
١٦- بسام العسلي، بسام العسلي، بطرس الاكبر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، ١٩٨٠.

رابعاً: الكتب المعربة:

١- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الانصاري، المجلد الاول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول- تركيا، الطبعة الاولى، ١٩٨٨.
٢- موسوعة تاريخ اوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، جان بيرنجيه، فيليب كونتامين واخرون، اشراف: رولان موسينييه وجورج ليفه، ترجمة: وجيه البعيني مراجعة: انطوان الهاشم، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، منشورات عويدات ، بيروت – باريس.
٣- فكتور بوغانوف، حياة بطرس الاكبر، ترجمة: خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٩٠.
٤- جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، عمان، ٢٠٠٦.
٥- آلان تايلور، الصراع على السيادة في أوربا، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، بلا سنة.
٦- الكسيف وكارتسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة: محمد الجندي، موسكو، دار التقدم، ١٩٦٧.

خامساً: البحوث والدراسات:

١- مشعل مفرح ظاهر، الاوضاع الداخلية في روسيا ١٧٢٥- ١٧٦٢، بحث منشور في مجلة آداب – البصرة، العدد ٥٦، السنة ٢٠١١.
٢- نغم طالب عبدالله، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس المعطيات التاريخية وتحليل النتائج، بحث منشور في مجلة Route Educational and Social Science . Journal ISSN: 2148-5518 Volume 5 (9), July 2018

٣- نغم طالب عبدالله، الانگليكانية وقراءة في تطور الكنيسة البروتستانتية الاسقفية في الولايات المتحدة الامريكية، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠٩، ٢٠١٤.
٤- نادية جاسم كاظم الشمري، رحلة القيصر الروسي بطرس الكبير الى أوربا ١٦٧٩- ١٦٩٨، بحث منشور في مجلة جامعة بابل/ العلوم الانسانية، المجلد ٢٤، العدد١. السنة ٢٠١٦.
٥- عباس عبد الوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الاول ١٦٨٩- ١٧٢٥، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد ١٧، العدد ٦، حزيران ٢٠١٠.

Russian - Ottoman Relations During the Reign of Czar Peter the Great 1682-1725

Asst. Prof. Dr Nagham Talib Abdullah
University of Baghdad / College of Education for Human science (Ibn Rushd)
nagham.talib@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

The Russian-Ottoman Relations occupied a great deal of interest in the History of International Relations in the Sixteenth and Seventeenth Centuries ،due to their logistic importance in the episodes of the conflict within the Eastern Question ،which accompanied the diminishing power of the Ottoman Empire and the raised of the European powers greed to divide their possessions in Europe ،Asia and Africa. Under the reign of Czar Peter the Great ،Russia played a pivotal role in that conflict ،in response to the supreme goals of the Romanov Czars ،to break the isolation imposed by Geography and Climate on their Country ،and to reach the Warm ،Navigable waters ، To keep up with the wheel of Evolution and Modernization adopted by Peter during his Reign 1682-1725.

Key Words : Russian - Ottoman - Relations - Czar Peter the Great